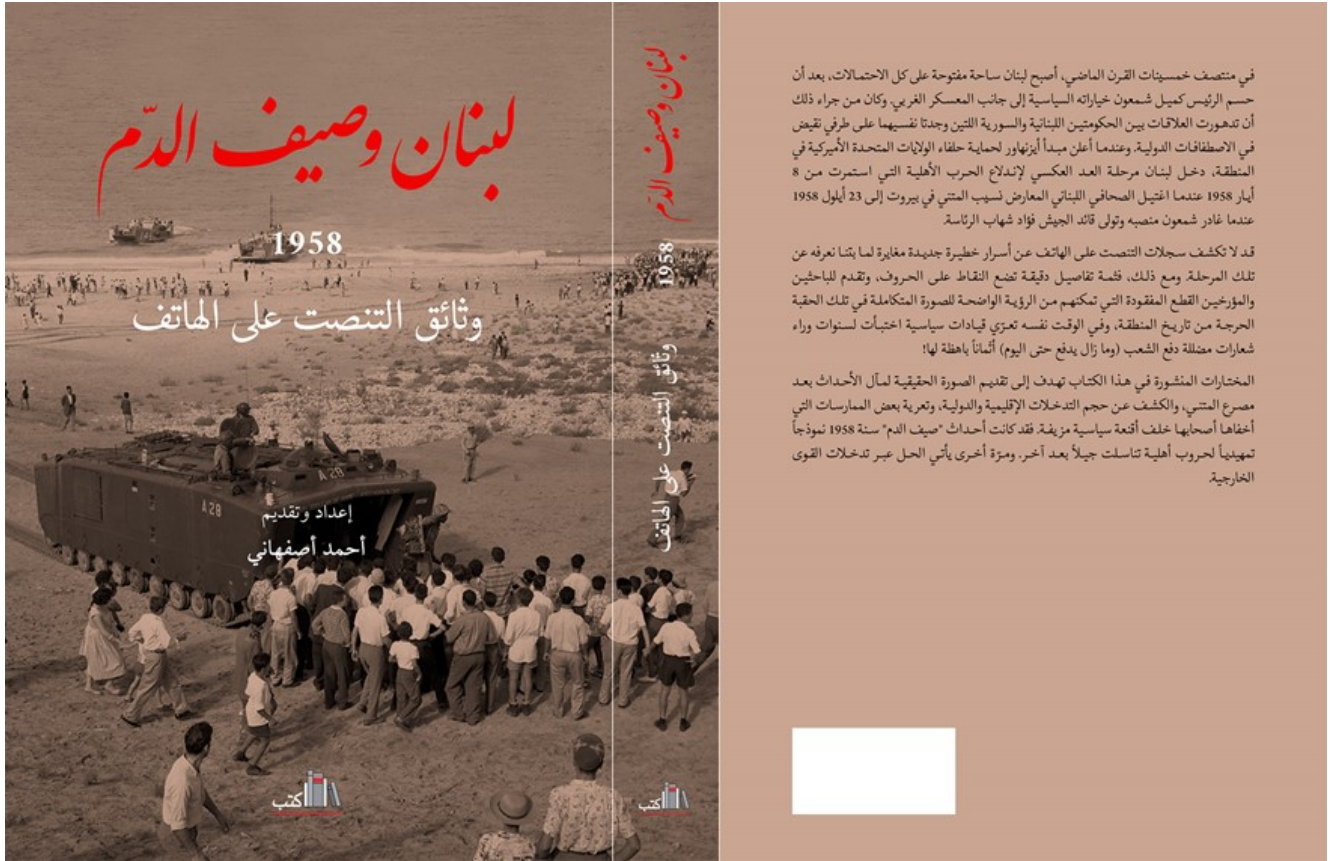


“لبنان وصيف الدم 1958”: سجلات التنصت على الهاتف تفضح المستور



صدر عن “دار كتيب للنشر” في بيروت قبل أيام كتاب “لبنان وصيف الدم 1958- وثائق التنصت على الهاتف” من إعداد وتقديم أحمد أصفهاني، مع مقدمة خاصة للدكتور سليم مجاعص. وهذا الكتاب هو الرابع باللغة العربية الذي يعتمد على أوراق وأرشيف الأمير فريد شهاب (1908-1985) المدير العام لمديرية الأمن العام في لبنان من 1948 ولغاية 1958. فقد ترك الأمير فريد بعد وفاته ثروة من الوثائق السرية والخاصة، حافظ عليها نجله السيدة يمنى شهاب عسيلي والأمير حارس فريد شهاب. وبعد مرور عقدين من الزمن على رحيله، تم تصنيف ألوف الوثائق وترتيبها وإعداد قسم منها للنشر في كتاب موسوعي صدر سنة 2005 تحت عنوان “في خدمة الوطن: مختارات من الوثائق الخاصة للأمير فريد شهاب”. وبعد ذلك صدر كتاب “أنطون سعادة والحزب السوري القومي الاجتماعي في أوراق الأمير فريد شهاب المدير العام للأمن العام اللبناني”. (دار كتيب للنشر - بيروت 2006) ثم جاء كتاب “التنصت على الهاتف في لبنان: أنطون سعادة والحزب السوري القومي الاجتماعي نموذجاً (1947 - 1958)” (دار كتيب للنشر 2014).

“لبنان وصيف الدم” هو الثاني في سلسلة كتب تتضمن مختارات كاشفة من سجلات التنصت على الهاتف التي نفذتها المديرية العامة للأمن العام في لبنان على مدى عقود. والكتاب الجديد يغطي الحرب الأهلية التي عُرفت بـ“صيف الدم” سنة 1958، وشهدت تدخلات إقليمية ودولية بلغت ذروتها

بنزول القوات الأميركية على الشاطيء اللبناني بعد الإطاحة بالنظام الملكي في العراق، و بروز تهديدات جدية للنظامين الأردني واللبناني المواليين للغرب.

إن وثائق التنصت الموجودة في الأرشيف لا تعطينا أية فكرة عن تاريخ التنصت على الهاتف في لبنان. وأول وثيقة من هذا النوع متوافرة بين أيدينا تعود إلى 24 تموز سنة 1946، والأخيرة إلى أول أيلول سنة 1958، وهو تاريخ التغيير الجذري الذي حصل في قيادة الأمن العام بعد وصول فؤاد شهاب إلى سدة الرئاسة. لكن توجد فراغات كبيرة بين هذين التاريخين، بحيث غابت سنوات كاملة تقريباً مثل 1951 و1952 و1953 و1954 و1957. وليس هناك معلومات مؤكدة توضح سبب هذا النقص، وإن كانت السيدة يمى، ابنة الأمير فريد، سبق أن أوضحت أن أباهما أقدم في مطلع ثمانينات القرن الماضي على إحراق كم هائل من الوثائق، من بينها طبعاً سجلات التنصت.

يتضمن الكتاب الجديد الفصول التالية: التنصت على الهاتف في لبنان - التاريخ والآليات، الخلفيات المحلية والإقليمية لحوادث 1958، الدور الأميركي في حوادث 1958 (للدكتور سليم مجاعص)، وأخيراً بعض سجلات التنصت من سنوات 1955 و1956 و1957. أما التركيز الواسع فكان على سنة 1958، وبالتحديد بين 8 أيار (مقتل الصحافي نسيب المتني المحسوب على المعارضة) و23 أيلول (تاريخ انتهاء فترة ولاية كميل شمعون وتولي فؤاد شهاب سدة الرئاسة بتوافق مصري - أميركي) ... وهي الأشهر التي غرق فيها لبنان بحرب أهلية مذهبية ذات أبعاد محلية وإقليمية ودولية.

يمتاز الفصل الذي كتبه الدكتور مجاعص بأنه اعتمد بصورة أساسية على وثائق وزارة الخارجية الأميركية التي تم الكشف عنها منذ مدة. وهي تُظهر لنا جوانب مختلفة من الصراع الإقليمي المخيم على المنطقة آنذاك. ومع أن القيادات السياسية اللبنانية المتناحرة أدخلت البلد في أتون الحرب الأهلية تحت شعارات براءة (مخادعة في معظم الأحيان)، إلا أن مصير الكيان اللبناني كان يتقرر في القاهرة وواشنطن. وتُعطينا الوثائق تفاصيل مذهلة عن لقاءات الرئيس المصري جمال عبد الناصر مع السفير الأميركي في القاهرة، والمفاوضات الدائرة بينهما والتي أسفرت لاحقاً عن صفقة "الإجماع" على قائد الجيش فؤاد شهاب رئيساً للبنان.

من ناحية أخرى، يقدم مُعد الكتاب أحمد أصفهاني عرضاً زمنياً يبدأ من تولي كميل شمعون الرئاسة سنة 1952 بعد إسقاط الرئيس بشارة الخوري، وصولاً إلى قرار الانحياز للمعسكر الغربي وفق مشروع أيزنهاور. وزاد الطين بلة مساعي شمعون لتعديل الدستور بهدف التمديد لفترة رئاسية ثانية، ثم إقدامه على تزوير الانتخابات النيابية سنة 1957 لضمان الحصول على مجلس نيابي يوافق على التعديل الدستوري. ويوضح المؤلف أن سجلات التنصت كانت تحمل مؤشرات إلى أن الاستقطاب الحاد على الساحة اللبنانية سيؤدي حكماً إلى الحرب الأهلية، خصوصاً وأن القيادات المحلية كانت مرتبطة بمشاريع خارجية متضاربة.

قد لا تكشف سجلات التنصت على الهاتف عن أسرار خطيرة جديدة مغايرة لما بتنا نعرفه عن تلك المرحلة. ومع ذلك، فثمة تفاصيل دقيقة تضع النقاط على الحروف، وتقدم للباحثين والمؤرخين القطع المفقودة التي تمكنهم من الرؤية الواضحة للصورة المتكاملة في تلك الحقبة الحرجة من تاريخ المنطقة، وفي الوقت نفسه تعري قيادات سياسية اختبأت لسنوات وراء شعارات مضللة دفع الشعب

(وما زال يدفع حتى اليوم) أثماناً باهظة لها!

يقول المؤلف: “سجلات التنصت التي نعتمد عليها تعطينا صورة داخلية فاضحة عمّا كان يُحاك في الغرف المظلمة آنذاك. لم نبدأ فوراً بما حدث في ذلك الصيف، بل عدنا سريعاً إلى أحداث أساسية في سنوات 1955 و1956 و1957 كونها تشكل السياق العام للتطورات التي أوصلت اللبنانيين إلى صيف الدم”.

لكن يجب ألا نقع في خطأ اعتبار أن أزمات لبنان كلها هي نتاج الصراعات الدولية والإقليمية فقط. فثمة مشاكل داخلية ناجمة عن بنية الدولة الطائفية والإقطاعية، تتكرر دورياً مع كل استحقاق انتخابي. وغالباً ما يحدث الدمج بين المحلي والخارجي عندما يستقوي طرف ما بالآخرين من أجل تحقيق الانتصار الداخلي. وهذا ما حدث في فترة الخمسينات بعد أن توضحت خطوط المواجهة بين الدولة اللبنانية ممثلة من جهة بكميل شمعون وسامي الصلح اللذين أيدتهما القوى الغربية و”حلف بغداد”، وفي المقابل معارضة متنوعة المذاهب ومتناقضة الاتجاهات تدعمها القاهرة ودمشق من جهة أخرى.

وفي ظل أجواء التوتر والاستقطاب وغياب الحد الأدنى من التوافق اللبناني الداخلي فيما يتعلق بالعلاقات مع الدول المجاورة والموقف من الأحلاف الأجنبية، باتت كل مسألة محلية موضع شقاق ونزاع بين الحكومة والمعارضة. وقد سعى كل طرف منهما إلى توظيف القضايا الداخلية التي تهمه في المجال الأوسع للصراعات الإقليمية. كما ساهمت تلك الممارسات في زيادة الاحتقان السياسي والأمني، فتراكمت المواضيع الخلافية التي لم يعد من الممكن معالجتها طالما أن التحدي والقطيعة والتحريض أصبحت من السمات الأساسية والوحيدة في التعامل بين رجال السياسة. وعندما تصل الأحوال إلى هذا المستوى بالذات، يكون التدخل الخارجي نتيجة حتمية لعجز الحكومة والمعارضة معاً.

وتكشف لنا وثائق التنصت لسنوات 1955 و1956 و1957 كيف أن الأطراف اللبنانية المتناحرة راحت تصعد لهجتها مع كل حادثة جديدة، حتى ولو كانت أقل من عادية:

– في أواخر آذار سنة 1955 طرحت عقيلة وزير الخارجية ألفرد نقاش فكرة تأسيس “الجمعية اللبنانية للخدمة الاجتماعية”، فتحرك “معارضون مسلمون” لرفضها بحجة أنها ستحرم الجمعيات الخيرية الإسلامية من أية مساعدة...

– في نيسان 1955 نشرت جريدة “العمل” الكتائبية مقالاً عن الصوفية الإسلامية اعتبره بعضهم مسيئاً للإسلام. فعقدت سلسلة اجتماعات رافقتها مناظرة عنيفة بين صحافيين مسيحيين ومسلمين...

– في حزيران 1955 طلب المطران الأرثوذكسي إيليا الصليبي من رئيس الوزراء سامي الصلح تعيين أرثوذكسي سفيراً في اليونان. وبعد جدل وخلاف، قال الصلح: “الدولة خرابانة من مية سنة وليس بإمكانه إصلاحها بظرف ستة أيام!!”

– في تشرين الثاني سنة 1955 أبلغ كمال جنبلاط شيخ العقل محمد أبو شقرا أن بيار الجميل عرض أن يعتذر الكاهن الذي كتب مقالاً مسيئاً للدروز مقابل إسقاط الدعوى بحقه، فقال أبو شقرا: “المسألة

عم تتكرر من قبلهم هالجماعة (...). ما بيجوز كل مرة يتعرضوا لمسائل دينية، لازم نوضع حد لهيك أشياء...”

– في آذار سنة 1956 وقعت أزمة أدت إلى استقالة حكومة رشيد كرامي، والسبب أنه رفض الموافقة على صرف المساعدات للمدارس الخاصة لأنها بمعظمها “مسيحية”... فاستقال الوزراء المسيحيون احتجاجاً، وأعلنت المدارس المسيحية الخاصة الإضراب. وردّ المجلس الإسلامي بعقد اجتماعات مضادة عند حسين العويني وعند رشيد كرامي!

هذه عينة من المماحكات الداخلية التي كان يمكن أن تفجّر الوضع الداخلي في أية لحظة. غير أن ذلك لم يحدث لأن الظروف لم تكن ناضجة بعد، فاستمر التراكم شيئاً فشيئاً إلى أن تبدلت حسابات الدول الكبرى في أعقاب فشل “العدوان الثلاثي” على مصر سنة 1956.

والواضح أن المختارات التي نشرها أصفهاني تهدف إلى تقديم الصورة الحقيقية لما آلت إليه الأحداث بعد مصرع المتني، والكشف عن حجم التدخلات الإقليمية والدولية، وتعرية بعض الممارسات التي أخفاها أصحابها خلف أقنعة سياسية مزيفة. فقد كانت أحداث “صيف الدم” سنة 1958 نموذجاً تمهيدياً لحروب أهلية تناسلت جيلاً بعد آخر. ومرة جديدة يأتي الحل عبر تدخلات القوى الخارجية. وعندما طلب شمعون المساعدة من واشنطن بموجب “مبدأ أيزنهاور”، ونزلت قوات المارينز الأميركية على الشاطئ اللبناني، فإن الولايات المتحدة لم تنشر جنودها فقط للمساعدة في ضرب المعارضة أو للتأثير على المجلس النيابي في مساعي التمديد... بل هي تحركت لحماية مصالحها الحيوية، خصوصاً بعد سقوط النظام الملكي في العراق بثورة 14 تموز سنة 1958. في تلك المرحلة الدقيقة، تلاقت المصالح الأميركية مع المصالح المصرية (في دولة الوحدة مع سوريا التي أعلنت في 22 شباط سنة 1958). وقد أنتج ذلك التوافق الهش رئيساً جاء من المؤسسة العسكرية هو فؤاد شهاب... فأصبح “جهاز المخابرات العسكرية” الحاكم الفعلي في جمهورية النهج الشهابي!

وهذه عينة من سجلات التنصت:

13 أيار 1958

– الساعة 12:05 قال مصباح سلام لعبد الله اليافي بمنزل العويني: ما بيصير نضل هيك والقيادة بتكون إما هون أو هونيك، صائب قاعد وحده ما بيقدر يدير الحركة وحده، وهوديك يللي راحوا مشوارهم ليش ما بيعطونا خبر لنعرف شو جد معهم؟ يطلعوا منها هالمناورات. يافي: من وين بدنا نروح لعندك؟ الرصاص مشتغل بين الجيش والأهالي على الطريق الجديدة. سلام: بتقدروا تجوا، الجماعة هون كلهم منتظرين وهلق وصل كامل بك الأسعد. وهلق وصل سليم من المطار. يافي: من وين مرقوا؟ سلام: بتجوا على سان سيمون ومنها على الأونيسكو، على كركون الدرور رأساً لهون. يافي: طيب.

– الساعة 14:25 قال عبد الحميد غالب لمحمود رياض في دمشق: اليوم الساعة 2 طلبني محمد علي حمادة من وزارة الخارجية وبلغني الحضور لوزارة الخارجية الساعة 5 لاستلام بلاغ رسمي. سألته هل هذا البلاغ عام أم خاص؟ قال لي عام. وأنا بعتت الخبر لمصر لكن حبيت قول لك حتى تتصل فيهم

تلفونياً والبلاغ ما بعرف شو فيه. رياض: كيف الحالة في بيروت؟ غالب: الحالة عدم، والرصاص والانفجارات بكل مكان. رياض: إن شاء الله تنتهي بخير. أنا في المكتب لغاية الساعة 7. غالب: أنا بتصل فيك بهالوقت لحتى قول لك النتيجة.

– الساعة 15:45 قال رفيق نجا لعدنان الحكيم (منزل): شو عندك؟ عدنان: من الساعة 12 لهلق والرصاص بينزل على بيتي من القوميين. رفيق: وعندي كمان عم يقوصوا حوالي البيت. بلغني إنه الكتائب نازلين للسوق يفتحوا البلد. وأنا بعنت ناس يشوفوا إذا صحيح. بدي منك تبعت حدا من عندك. عدنان: نحن عم ندافع بلحمنا. إذا السلاح موجود عند صائب وعم يعطيهم لجماعته شو عم يجينا نحن؟ شبابنا لما علقوا مع القوميين أخذوا 6 – 7 فريدة ولحقوهم. بدي نجدة ما عندنا شي والسلاح كان لازم ينعطى منه قسم كبير لبيت النجاد. عكره شبابنا علقوا معهم على الناصرة وإجوا العسكرية ضربوا واحد من جماعتنا بالحربة. نجا: قتل شاب عندنا هون على البوابة صار له ساعتين مشلوح ما حدا عم يتطلع فيه وما اعرف مين هو. عدنان: ريمون إده باعت لي خبر إنه بتستقيل الوزارة وبيجي الجنرال ومعه تقي الدين أو هنري فرعون والمعارضة بتسمي اثنين وبيطلب شو رأينا بالحل؟ قلت له نحن والهيئة الوطنية منعطي آخر رأي وما منقبل إلا ما ينزل الرئيس. مش هيك رأيك؟ نجا: ما في شك. عدنان: وهلق بدو يجي عند حسين العويني ويعطيهم هالحل. نجا: طيب. عدنان: وإنت إذا اتصلت بالجماعة قل لهم يبعثوا لنا سلاح. نجا: طيب.

2 تموز 1958

– الساعة 18:25 منير فتحة قال لعبد الله اليافي بمنزل حسين العويني: في بلبلة بالمحلة. عبد الله: شو القصة؟ منير: في معين حمود وإبن يوسف الحكيم وإبن درويش من شان فوزي الحص. عبد الله: يا أبو سعيد ما تحكي هالأشياء على التلفون. بدك تجي لعندي لهون لتقدر تحكيني هالأشياء. منير: راح ناس لعندك. عبد الله: إي طيب.

سيدي الرئيس: إن صائب سلام أقدم على خطف قواد طريق الجديدة أي معين حمود وصلاح درويش والسوري يوسف الحكيم وسجنهم، والقيامه قائمة بهذا السبب في طريق الجديدة. (ملاحظة من الأمن العام).

– الساعة 16:40 أحمد الحاج قال لخالد جارودي في بيت العويني: سيارتي رقمها 28515 “فيات” كانت واقفة قدام مكتبي على البور. سرقوها جماعة النجادة وأخذوها لعند عدنان الحكيم. راجعت صائب سلام وعبد الحميد سلام قالوا ما بيحطوا أيدهم فيها طالما النجادة سرقوها. حكيت عدنان الحكيم قال بدّه 500 ليرة ليتركها، وإذا ما دفعت لهم الليلة راح يحرقوها. شايلين لها نمرتها. لونها طحينة ورمادي. أنا قبلت إدفع لهم 200 ليرة ما كان يقبلوا لأن إلي شريك فيها إسمه موريس زريق يهودي. خالد: هلق بحاكيه لعدنان وبقاوبك. واتصل خالد بعدنان الحكيم فقال له عدنان: يدفع المطلوب منه. خالد: راح يدفع 200 ليرة. عدنان: 500 إلا قرش ما منقبل وقفل الخط. واتصل خالد بأحمد الحاج وأخبره فقال أحمد: إذا بدّه يعنّد راح تكلفه حياته لهالعكروت عدنان الحكيم الكذاب.